نظرة المجتمع إلى السيارات في بداية اقتنائها



الصورة مصغرة أنقر هنا لرؤيتها بحجمها الطبيعي ٦٨٠*٥٢٩

هذا الموضوع هو الباب العاشر من كتابنا (دليل مناهج بعض المجاهل في الأدب والمداهل والمناهل(

**

**

السيارات هي وسائل النقل عند عامة الناس، في عصرنا الحالي، حلت محل الزمل (١)، الذي كان يحمل الأثقال من مكان إلى آخر، في العصور الماضية٠وللعرب في السيارات أراء يرونها، حيث تقتضي الحال ذلك، فلبداية وصول السيارات إليهم، كانوا يتحرزون من قبولها واستخدامها، ويرون أنها من البدع، و عملاً من أعمال الشيطان المنكرة ٠ وللشعراء أشعارٌ كثيرة في السيارات متعددة الأغراض، عندما أصبحت في مقام الهجن ، والرواحل من الإبل ،فإلى محتويات هذا الموضوع :

تحاشي شراء بعض السيارات

كان العرب يتحرّزون من استخدام السيارات كما ذكرت آنفاً، ولكن لما لم يجدوا بداً من أن يروها من المحظورات التي تبيحها الضرورات، اشتروا منها بحذر في اختيار النوع المناسب، من أنواعها، مخافة أن يقال عن الشاري أنه أشترى مالا يناسب وضعه ولا يكفي لسد حاجته، وذلك مراعاةً للتقاليد والأعراف السائدة وقتها، والتي كانت تحكم الناس، ولا يستطيعون الخروج عليها، فكانوا يجمعون على جواز شراء ما اتسع منها لحمل عفش البيت، وجلب الماء لرعية الغنم، فضلاً عن ماء الرقبة(٢) ، وكان أنسب ما يكون لذلك نوع اللواري منها (٣)،ويتحاشون شراء السيارات الخاصة كالصالون (الصغيرة)، لأنها برأيهم وناً من الترف والفسق، ومن مقولاتهم عند ذكر الوانيت: ((أترك مخلي جاره))، أي أن صاحب الوانيت،

يرحل ويتركجاره على المراح، لضيق بدي الوانيت، فيطعنون بشرائه، ويعتبرونه بخلاً وتقصيراً بصاحبه عن أداء ما يلزمه أدائهأو اللوم عليه٠ولما اعتادوا على اقتناء السيارات، وزالت زوبعة ابتكارها، وجدة انتشارها، أخذوا ينوّعون بمقتنياتهم من السيارات، وفق ما يلائم أحوالهم، وقدراتهم على شرائها، فترى منهم من يشتري وانيت ،أو داتسون، أو حتى صغيرة دون أن يجد بنفسه حرجاً من ذلك، في نظر مجتمعه٠

طرائف حول السيارات :

ومن طريف ما يروى عن صاحب وانيت، عند ما سأله شخصٌ آخر عن نوع وانيته، أهو هاف أم عادي، أنه رد على سؤاله قائلاً:" كان فيهن هاف هو هاف٠ هذا(٤) هف البعيرات(٥) واللي عندنا من الفلوس ، وقام يستلحق من الغنيمة " أي عندما اشترينا الوانيت بعنا الزمل وهي الجمال(البعيرات: تصغير البعارين، من باب ترخيم الاسم للترحم عليه) التي كانوا يحملون عفشهم عليها، ودفعنا ما لدينا من نقود إكمال قيمته، والآن أصبح لا يستغني عن بيع بعض الغنم لإصلاحه عند ما يتعطّل٠ متجاهلاً فهم سؤال السائل٠لأن بمفهومه الهاف هو الذي يهف الشيء أي يستشفه ومعناه يأكله أو يشربه كله٠بينما معنى هاف هو نوع الممتاز من الونيتات الفرود ٠ ولبعضهم مع السيارات وتسميات أجزائها مواقف مضحكة، كقول أحدهم لبائع قطع غيار وهو يفرق بين أصابعه ويدلدل بها للتشبيه ويقول: ما عندك هذيك اللي تقل ديود كلبة ؟ ويقصد البطارية ٠ ويقول آخر لما سمع المهندس يقول عطلان بسيارتك الكبليتر: " وينه الكلب الأيسر ؟ " ٠

بعض القصائد في السيارات

ومن الهجينيات التي نظمها بعض الشعراء ، عند ما عرفوا ما تميز به السيارات عن سائر وسائل الركوب، من سرعتها، وحسن مركبها و عدم حاجتها لما يلبثها أو يقلل من سرعتها أثناء سيرها، بالنظر إلى الحيوانات التي تحتاج إلى الرعي،وهذه المقارنة تطرح نفسها حتماً ، عند التعرّف على السيارات لأول مرّة، كوسيلة ركوب، ونقلٍ دخلت ضمن ما اعتاد الناس عليه، فتظهر الفوارق بين الوسيلتين حينئذٍ بالتجربة، فيقول أحدهم:

الله على مَنْ ركب تنبيـل = وإلاّ يتمرجح بطيـاره (٦)
ينهب عشيره قبول الليـل = ولا تلحقه سبق الغاره (٧)
ويقول شاعرٌ آخر:
يا راكب اللي تخر الزيت = من الرعوجي شريناها
بعنا الرحايل وبعنا البيت = وحتى الحماره رهناهـا

ويقول آخر:
يا راكـب فـوق مـا يدلـي = لو يسهج العشب ما يذوقه (٨ (
اسلـم وسلّـم علـى خلـي = أنا دخيلـه عـن البوقـه

لاحقات المقافي

هذه القصيدة للشاعر مزروق بن مقبل المرشد الفهيدي الحربي(١٣٥٩ ـ ٠٠٠٠هـ)(*)، قالها في سيارته الوانيت الشفر:

يا راكب اللـي للفيافـي اموفـا = آخر مديل مصفّح و فل وافـي (١٠ (
حمر شفـر لا دار ويلـه و قفـا = ما يلحقنه لاحقـات المقافـي (١١ (
ابي إلى قامـت همومـي تكفـا = وغدا لها بين الضلـوع إلتفافـي
ذكرت مـن داوم بذكره مكفـا = ودقيت سلف وميت القلب غافـي
وطلبت من المعبود سترٍ مضفـا = وأخذت شفي مع وسيع الفيافـي
اللي عليه القلـب هايـف وشفـا = مشف على شوف الفياض النظافي
ابعد عن اللـي يبحثـون المخفـا = شذابة العرقوب فـوق الخفافـي
ترحيبهم بالوجـه مـوت مصفـا = ومع النمايـم كـذب والله يكافـي
وإن قلت وين الصدق قالو توفـا = الكذب يبنابـه قصـور وملافـي
وراع الحسد والكذب مـا ينتلفـا = والكذب كلـه للشريعـه منافـي
لا سولـف الكـذاب ودك يطـفـا = نبي اسلوم مشيدين الرفافـي (١٢ (
مع الكرم باهـل الكـلام يتحفـا = وله ماقفٍ بالطيب بيّـن يشافـي

ما يمل ركابه

وللشاعر مرزوق الفهيدي في سيارته الجمس:

ياراكب اللـي إلـى دارت دولايبـه = يجلا الزعل من ضميرٍ دار دولابه (١٣ (

آخر مديـل وخبيـره عنـد تركيبـه = أمضا على مقدم الكبـوت وأبوابـه
قال أضمنه والدليـل يسـد تجريبـه = عن كل وارد إلى جربـت ترضابـه
جمس نسيم الهبايب مـن مشاريبـه = صنعة خبيرٍ علـى فنـه تقصابـه
طي السهال الوسيعه مـن عذاريبـه = وراحة بدن راكبـه مايمـل ركابـه
والجمس ما أبيع به لله ولا اعطيبـه = كلٍ على شف باله يبـدي اعجابـه
وأنـا أتمنـاه حيثـي خابـرٍ طيبـه = اما لقضـى لازمـي وإلاّ اتمشّابـه

أبي على الجمس تشريقه وتغريبـه = والرزق من واحد من ماخاب طلابه
ما يمنعه مَنْ سعى بالحسد والغيبـه = اللي جزاهم عظيـم بمحكـم اكتابـه
واللي يودي خبيث الهـرج ويجيبـه = وابليـس يقـداه واحيـان يتكفابـه
دايم يبـث العـداوه بيـن أصاحيبـه = وأكثر كثير المشاكل كلهـا أسبابـه
يجب على المجتمع نبـذه وتجنيبـه = واللي نسي خوف ربه قدمه احسابه



الصورة مصغرة أنقر هنا لرؤيتها بحجمها الطبيعي ٧٦٥*٥٢٥

الحاشية :

-1**الزمل** :الجمال المخصصة لحمل عفش البيت ٠

-2**ماء الرَقَبَة** :هو الماء الخاص بشرب الأشخاص، وعمل طعامهم ٠

-3تسمّى اللوري حينذاك الحمّالي، وذلك مأخوذاً من النظر إلى قدرة هذه الشاحنة على حمل الكثير، لا من النظر إلى كونها تنقل العفش أو غيره من مكان إلى آخر، وهو ما أشتق منه اسم سيارات النقل ٠

-4**هذا** :يقصد به الإشارة إلى وصف وانيته فقال هذا ليشدّ انتباه السامع إلى وصفه، والتعريف به ٠

-5**البعيرات** :الزوامل وصغّر لفظهم تصغير ترخيم بغرض الترحم عليهم ٠

-6تنبيل: سيارة ٠

-7**قبول الليل** :أمام الليل، أو حين يكون الليل مقبلاً ٠ يقصد بذلك أن يكون الليل قريباً، فيحول بينه وبين من يطارده ٠

سبّق الغارة: المتقدمة على ما سواها من الهجن التي تطارده ٠

-8**ما يدلي** :الذي ما يدنق ليرعى ٠ يسهج: يمر ٠

-(*)**مرزوق الفهيدي** :هو الشاعر مرزوق بن مقبل بن غثيان المرشد، من الفهدة، من مسروح، من حرب، ولد سنة ١١٣٥٩هـ
، من سكان قبة ٠ شاعر مجيد، يتميز شعره بجودة الصياغة، ورصانة الوصف، وعمق المعاني ٠ انظركتابنا " تحفة المساجلات " صفحة ١٢٧ وما بعدها للاطلاع على بعض قصائده ٠

-10**الفيافي** :جمع الفيفاء، وهي التهلكة، والأرض التي لا ماء فيها، والمكان الواسع، ويُقال إنها الأرض الملساء، التي لا شيئ يتقي فيها، ويمكن اعتبار قول الحنشولي: (نقطّع الفيافي ندور مثلهم)، عندما أتأه هو ومن معه، صعلوكٌ آخر، وومعه أصحابه الاثنين، وكانوا الآتيون ثلاثة أيضاً، فقال أحدهم، وهو يهم بالبروك على الشخص الذي كان أمامه، مثل ما صاحبيه قد بركا على الآخرين، فقال هذا: (قومٌ قيام، هجدوا قوماً نيام)، وهو يريد بذلك أن يحبط معنوية الشخص الذي هو ينوي القبض عليه، ليخاف وتخاذل عن مقاومته، لأنه قال عن نفسه، هو وقومه، إنهم لم يغلبهم النوم، وهؤلاء الآخرين قد غلبهم النوم، مما يدل على أنهم ليسوا بصفات الرجال، الذين يستطيعون المقاومة، ولكن صاحبه الذي هو خصمه كان أعنف منه، وأشد جراءة، وأقوى حيلاً، فنهض إليه، وهو يقول (نقطع الفيافي ندور مثلهم)، فأخذ الآتي وضرب به الأرض، ومعنى كلامه نقطع كثيراً من الأراضي الملساء، المكشوف من فيها، ولا نخشى ممن يرانا الموت، لو رآنا رآيٌ فأراد قتلنا، وذلك لأن الحناشل، وهم الصعاليك في الماضي، لا يسيرون في وقت النهار، وإنما يبقون في مخبأ عن الناس، حتى يظلم عليهم ظلام الليل، فيسيرون حتى الصبح، وتسمى أيضا الأرض التي لا يوجد فيها متاقي، المومأة، بدليل قول الشاعر يصف صعلوكاً بأنه إذا أتى المومأة، والتي تشبه الفيفاء، إن لم تكن هي الفيفاء، ظل فيها، حتى يظلم عليه الليل، فيذهب حتى يصبح في مثلها، فيتوقف عن السير، وهو قوله:

يمسي بمومأةٍ ويصبح بغيرهـا = جحيشاً ويعرورى ظهور المسالكِ

اموفا :حرف الألف زائد للضرورة الشعرية، وهي إتمام الوزن، وتحسين اللفظ ٠ وموفٌ: متمم عن النقص ٠

-11**الويل** :العجلة ٠

-12**مشيدين الرفافي** :مشيدين: رافعين بناء ٠ الرفاف: جمع رفة، وهي مجلس الرجال من بيت الشعر، وتسمّى الربعة، وهي القسم الشرقي من البيت كاصطلاح جري العرف عليه ٠ وذلك لأن مما جرت عليه العادة أيضا عند بني بيوت الشعر، أن يكون طول البيت في اتجاه الشرق والغرب، وعرضه في اتجاه الشمال والجنوب ٠ لمقاومة تأثير الريحين الشمالية والجنوبية على داخلي البيت ٠ ومتى هبت الشمال او الجنوب روّق البيت من الخلف، أي من جهة الريح ٠ فلا تؤثّر الشمال على جنوبيه لعرضه ولا الجنوب على شماليه لعرضه ٠ أي لاتدخله ٠ فمن المعروف لدى عامة البدو أن الناحية الغربية من بيت الشعر وهي قسم أو

أكثر للنساء، ولنوم أصحاب الدار، والناحية الشرقية وهي قسمٌ واحد يتألف من قسمين أو أكثر مدمجين ببعضهما للرجال، و الضيوف من الرجال ٠

-13**دواليب** :عجلات ٠